نظرة أدبية في مقالة أعيادنا لأبوبكر بلاربي

د. محمد هارون هطيجيا

توطئة:

تفيد المصادر الأدبية الحديثة أن المقالة بقوالبها الحديثة لم ترد في قائمة الفنون الأدبية القديمة بل اخترع أدباء العرب القدامى فن الرسالة الأدبية بموضوعاتها المتعددة وبصورة محددة، الأمر الذي جعل الباحث يميل إلى وجود جذور الفن المقالي في الأدب العربي القديم وكل ما ظهر فيها من التغيير يعتبر تطورا لفن الرسالة. ثم إن أدباء هذا القطر النيجيري تأثروا في الأدب بالعرب في المشرق حيث استعانوا بفن المقالة للتعبير عن مشاعرهم تجاه القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية. وإن أبابكر بلاربي من الرواد الأوائل الذين عالجوا المقالة في هذا القطر. تركز هذه الورقة على أولى منشوراته كنموذج لمقالاته الأدبية التي نشرها في إصدارين في مجلة دراسات كنو، كما تبرز جهود هذا الأديب وإسهاماته في هذا الفن المقالي، مستعينا بالمنهج الوصفي.

ترجمة صاحب المقالة:

هو أبوبكر بلاربي زاريا ومسقط رأسه بقرية كان ميلاده في غِيوَا عام ١٩٤١/٦/٢٠م، من أسرة معروفة بالعلم.

بدأت حياته العلمية من الكتاتيب، ثم مرّ بالمرحلتين: الابتدائية والإعدادية ثم الشهادة الثانوية من مدرسة العلوم العربية بكنو عام ١٩٦٢م، وبعد بضعة سنين عاد إلى كنو والتحق بكلية عبد الله بايرو لطلب الشهادة الجامعية في اللغة العربية، وتخرج فيها عام ١٩٦٦م، وأثناء هذه الدراسة بدت موهبته الفنية تتفتح إذ استطاع أن يصدر هذا المقال فيها، وإبّان هذه المرحلة، بعث إلى جامعة الخرطوم بجمهورية السودان حيث منّ الله عليه بدرجة الماجستير في اللغة العربية عام ١٩٧٠م، وأخيرا حصل درجة الدكتوراه من جامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأميركية USA سنة ١٩٧٨م.

أما خبرته العملية فقد بدأت بالتدريس لمدة قصيرة تحت الحكومة الإقليمية بزاريا، ثم انتقل إلى كلية عبدالله بايرو كمحاضر معيد بعد تخرجه من الجامعة، فمن ذلك بدأت حياته الأكاديمية، واشتغل بالتدريس والإشراف على البحوث العلمية. وقد تولى رئاسة قسم اللغة العربية من سنة ١٩٧٦م إلى سنة ١٩٩٢م، ثم عميد كلية الآداب والدراسات الإسلامية، وأخيرا نائب مدير الجامعة، شارك في لجان إدارية ومجالس أكاديمية وندوات عدة. وفي عام ١٩٩٢م عيّن مديرًا لقرية اللغة العربية بإنْغَالاَ إلى سنة ٢٠٠٢م.

وأخيرًا تقاعد عن الوظيفة ٢٠٠٢م،١ وانتقل إلى رحمة ربه يوم ٢٤ من فبرير ٢٠١٦م بإحدى مستشفيات الهند ودفن بمدينة زاريا.(رحمه الله).

مفهوم المقالة

المقالة لغة: من قال، يقول، قولا، وقيلا، وقولة، ومقالا٢، ومقالة – فهي مصدر على وزن مفعل. والفرق بين المقالة و المقال هو التاء التي تزاد – فهي مصدر سماعي، كما قد يكون اسم المفعول أو يقال على صيغة المضارع المبني للمجهول.

وللمفهوم الاصطلاحي للمقالة عند الأدباء والنقاد، تعريفات عدة، تكاد تتفق من حيث المضمون وتتباين صياغة، ولا يسع المجال لإيراد تلك التعريفات ومناقشتها، يكتفى الباحث بتعريفين منها لشمولهما.

١ / الدكتورة سوسن رجب:

عرفت هذه الناقدة المقالة بتعريفين:

أ/ «هي قطعة نثرية قصيرة أو متوسطة، موحدة الفكرة تعالج بعض القضايا الخاصة أو العامة معالجة سريعة تستوفي انطباعا ذاتيا أو رأيا خاصا، ويبرز فيها العنصر الذاتي بروزًا عاليا، يتحكمها منطق البحث ومنهجه وتقوم على بناء الحقائق على مقدماتها، ويخلص إلى نتائجها»٣.

ب/ «أو قطعة مؤلفة، متوسطة الطول، وتكون عادة منثورة في أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد وتعالج موضوعا من الموضوعات على وجه الخصوص»٤.

بعد تأمل دقيق لهذين التعريفين لاحظ الباحث أن الناقدة أتت بلفظ (أو)

الذي يفيد التنويع، أي إما التعريف الأول أو الثاني، فالقارئ بالخيار، ذلك لأنهما يسيران في فلك واحد من حيث المعنى، وينفرد كل منهما صياغة.

وبناء على ما تقدم يتفق التعريفان على أن المقالة كلام أدبي نثري، ليس مطولا، يعبر الكاتب فيه عن فكرة معينة يصور الكاتب انطباعاته تجاه القضية، بطريقة منهجية، يفتتح بمدخل، ثم يباشر مناقشة الموضوع حسب طبيعته ومن ثم يتخلص إلى الخاتمة، محددا نوعية المعالجة بأنها (سريعة) إذ ليس بمقدوره أن يحيط القول بجميع المعلومات التي يتضمنها الموضوع.

إن التعريفين اختلفا من حيث الصياغة، فالأول وضح الفكرة بشيء من الإطناب، فكأنها وضعت أيدينا على ماهية المقالة مفصلة فيه جميع أطرافها طولاً وعرضًا، فصبغته التعريف بالإشارة إلى كنههما حتى لا يشتبه الأمر على القراء.

فغاية فهم الباحث أن التعريف الأول أقرب إلى الوصف الصحيح لماهية المقالة، لأنه يكاد يكون جامعا مانعا.

المقالة في الأدب العربي:

لا يخفى على المطلع على التراث العربي الأدبي أن العرب استخدمت قوالب الكتابة المختلفة، كالخطابة، والرسالة والكتابة وهي لا تقل أهمية من تلك الفنون، إذ استطاع كتّابها أن يعبروا عن أفكارهم ويعالجوا موضوعات متعددة عبر هذا الفن. وأن الباحثين عقدوا موازنة بينها وبين فن المقالة الحديثة، فتوصلوا إلى وجود علاقة المشابهة بين الفنين.٥

ذهب فريق منهم إلى أنها شيء واحد لولا ما طرأ عليها من التجدد في الأدب العربي الحديث على يد المحدثين.

هذا، والباحث يؤيد هذا الرأي لأنك عندما تقرأ الرسائل الأدبية القديمة، تحس كأنك تتابع المقالات الحديثة، ولكن لا نجد أي مانع عن نسبها إلى الأدب الغربي الذي انفجر من أدبهم هذا الفن.

أما عن الأدب العربي فقد دخلت فيه بعد أن قام فرقة من صفوة الكتاب بإحياء النثر الفني في الأدب العربي بعدما زحزحت الحركة الأدبية والثقافية في البلاد العربية نتيجة الاضطرابات السياسية في أواخر القرن الثامن عشر. يتمثل هذا الكتاب في ثلاثة من أبرز العلماء والأدباء، وهم: الشيخ محمد عبده، ولطفي السيد، ومصطفى كامل٦.

لقد حاول الشيخ محمد عبده أن ينفخ الروح في نشر بعض أفكاره وآرائه تجاه تيارات العصر في قالب الرسالة الأدبية المؤثرة ببعض مقومات تأثر بها من الأدب الغربي. فظهرت المقالة العربية الحديثة مزدوجة بإحياء التراث والتأثر من الأجانب، ولم لا والحال أن هذه هي طبيعة إحياء أي فن في الأدب العالمي، وهو نفس المنهج الذي سلكه البارودي في الشعر.

فأخذ محمد عبده ينشر مقالات رائعة ذات طابع ديني في الصحيفة الأولى التي قد تولى تحريرها "الوقائع المصرية" إذ هي الصحيفة الأولى في العالم العربي كما يذكر هيكل٧.

المقالة في الأدب العربي النيجيري

اللغة العربية شاهدت تقدما ملموسا في نيجيريا باعتبارها مادة دراسية في المدارس الحكومية تحت النظام الاستعماري الجديد للتربية والتعليم، مما زاد لها نفوذًا في أنحاء الدولة، فوجدت نشاطات لغوية وأدبية تحت هذه الأجواء، فأخذ الطلاب يمارسون الكتابة عن طريق إلقاء الكلمات في مناسبات مختلفة تحت ظل الجمعيات الأدبية في داخل وخارج المدارس. فهذا بكل تأكيد يبشر بخلق فنون نثرية في الأدب العربي النيجيري عامة، وفن المقالة خاصة.

لقد بزغت شمس المقالة واستقرت على اللوحة الأدبية في الأدب العربي النيجيري – حسب ما أثبتته الدراسة – على أيدي رواد الأوائل لفن المقالة وبالتأكيد منهم أبوبكر بلاربي بمقاله هذا عام (١٩٦٥م) في العدد الأول والثاني (١٩٦٦م)،نشر مقالته في مجلة دراسات كنو، بعنوان "أعيادنا" ذات الطابع الاجتماعي والأدبي.

لذا يميل الباحث على ضوء تلك الدراسة أن أبا بكر بلاربي من أوائل من نشر المقالة في الأدب العربي النيجيري.

امتازت هذه المقالة على بعض الرسائل التي قد كتبت قبلها، أو الكلمات الإنشائية التي خرجت تحت مجهودات الطلبة، وأضف إلى ذلك أن الفن مرتبط كما سبق بالصحافة أو المجلة.

نظرة أدبية للمقالة:

وعنوان هذه المقالة هو "أعيادنا" وأعياد جمع عيد، والعيد من عاد يعود، فأصل الكلمة عِوَد، تحركت الواو وانكسر ما قبلها فقلبت ياءًا فصارت عيدٌ. يقول صاحب لسان العرب نقلا عن الأزهري: «العيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه

الفرح والحزن»، لذا عرفه ابن منظور بأنه يعني: «هو كل يوم فيه جمع»٨، وقيل قلبت الواو ياءً للفرق بين "عود" التي تعني الخشب.

ويرى الباحث أن القول الأول أقرب إلى الصواب حسب التحليل الصرفي. أما الثاني فقد يرفضه البعض لأنه بني على مجرد التفرقة.

وأما جمعها على الأعياد، بالياء دون الواو فقد بيّن الجوهري أنه لمجرد التفرقة فقط.

ويقول ابن الأعرابي في لسان العرب: «سمي العيد عيدًا لأنه يعود في كل سنة بفرح مجدد»٩.

ومهما يكن من خلاف فإن العيد يعني جمع متكرر لمناسبة فرح أو حزن، فالكاتب هنا يعني مناسبات الأفراح، وقوله (نا) التي هي ضمير الجمع للمتكلم تفيد أنه يناقش التي تقام في بيئته التي يعيش فيها،

وافتتح الكاتب بالإشارة إلى مكانة الأعياد عند الشعب دينيا واجتماعيا وفكريا وثقافيا.وقد استوظف الأساليب البلاغية والصور الأدبية المختلفة ليثبت تلك المنزلة، وفيما يلي تلخيصها:

أولا: عقد المشابهة بين أبناء الأمة التي خلت من مناسبات الأفراح والأعياد من حيث الموقف الاجتماعي وبين "أعجاز نخل خاوية" فقد استسقى هذه الفكرة من القرآن، وهي آثار شجرة النخلة وانقرضت وماتت ثمرة فيها ولا ينتفع بها الناس، وهذا يدل على حقارتها وإهانتها في المجتمع، فإذا خلت الأمة من الأعياد التي تعبر عن هويتها، فإن ذلك يفقد من قيمتها للاجتماعية.

ثانيا: إنه صور المجتمع شخصًا له قلب يعيش في أجواء نشطة بإرشادات دينية وسياسية واجتماعية تحيط به إحاطة الهالة للقمر، فيرى الكاتب أنها تستغني عن العناية بالجانب النفساني، إذ هو الذي يتكفل تقويتها، ويوقظ الأرواح ويقوي عظامها كما جرت العادة في الحياة. فالأعياد لا تقل أهمية من القواعد النفسانية والروحية، إذ هي التي تغذي أرواح أبناء الشعب، يكمن ذلك في السرور والابتهاج الذي يجده من الأعياد، وبالتالي تتجدد هممهم في مكابدة الحياة من جديد.

ثالثا: إنها تعبر عن مستوى ثقافة الأمة وذلك من خلال الأنشطة التقليدية مثل المظاهر السحرية من بعض الكهنة من خوارق العادات مثل تحريك الحديد وتمديده بدون نار يحرقه، أو تمديد عضو من أعضاء الإنسان، كما نرى البطولة في الملاكمات التقليدية والفروسية من هيئة الموكب، ونظامه الذي تحدث في بعض مناطق هذا القطر، إضافة إلى المظاهر الأدبية التي تكمن في الأشعار والأغاني والموسيقى التي يبدعها الشعراء المغنون والفنانون لتلك المناسبات، كل ذلك يشير إلى ثقافة الأمة.

فزبدة القول إن هذا المدخل ينطوي على أفكار يمهد بها إلى سرد الأخبار عن الأعياد السائدة في أمته وذلك عند قوله:

«الأمة – نشأت أو هي ناشئة – لا تستغني عن أعياد مهما يكن المجهود الذي يبذله أفرادها تجاه التقدم والتطور السديدين ولو عاش شعب بدونها لكان أبناؤه كأعجاز نخل خاوية، في عيشة ضنكة، لأن فوائدها لا تتقيد على زوايا الدين والسياسة والاشتراكية فحسب، بل تتضمن النفسانية والروحية أيضا، وهي من الوسائل التي تظهر فيها ثقافة الأمة صريحة، ويقول الحكماء: "العمل بدون لعب ما صير حاف ولدًا". وأنشد الشاعر:

فنخصص وقتا للدرس

ونخصص آخر للعب

فنرى من هذين القولين أن الروح والذات لا يتحملان العمل الجدّ بلا راحة، فكأن الإنسان حينما يؤدي ما عليه من خدمة المجتمع فهو يدرس حوادث يوميّة، ولا يمكن أن يستمر هكذا بدون توقف ولا اشتراك في لعب ذهنيًا كان أو بدنيًا». ١٠

لما وصل إلى صميم المقالة، بدأ بفكرة تجول حول تحديد مناسبات الأعياد عند النيجيريين خصوصا الشماليين، وهي على حد قوله تتعلق بثلاثة جوانب حيوية:

١- الجانب الديني عند المسلمين، مثل عيدي الفطر والأضحى وعيد المولد النبوي الشريف، وعند المسحيين العيد الميلادي.

٢- الجانب العرفي: فهي مثل الأعياد التي تعقد للمسابقات بين أصحاب الصناعات، مثل عيد معرض العلوم والتكنولوجيا، وأيام الصيادين وغير ذلك.

٣- الجانب السياسي: مثل عيد استقلال الوطن من أيدي المستعمرين.

أولا: الأعياد الدينية:

أخذ صاحب المقال يصف الأنشطة الدينية والاجتماعية التي تحدث في مناسبة

الأعياد الدينية في هذا القطر. فنظرا إلى أن المنطقة تدين بدينين الإسلامي والمسيحي مع قلة عدد أتباع المسيحية فإن لكل منهما أعيادا بدأ الكاتب يصف الأعياد الإسلامية التي يتعيد بها أكثر من سبعين في المائة من سكان هذا القطر ففتح وصفه بعيدي الفطر والأضحى في العدد الأول من المقال وركز وصفه الدقيق على مظاهر الآتية:

- إعداد مواد غذائية لصناعة مائدة العيد التي توزع للأقرباء والجيران كمائدة خاصة تتغدى بها الأسر يوم العيد وهذا مظهر من مظاهر الكرم لهذه الأمة.
- وصف خروج الناس إلى المصلى لأداء صلاة العيدين وما يستن في ذلك من لبس جديد وأذكار مأثورة للوصول إلى المصلى مركزا في ذلك على شمال نيجيريا.
- خروج الأمراء مع وزرائهم إلى المصلى حيث أشار بهيئتين يخرج بهما الأمراء: خروج الأمراء ماشين على أقدامهم من القصر إلى المصلى ثم يعودون في موكب عظيم طائفين بأحياء المدينة حيث ضرب مثالا بأمير كنو،وخروجهم في موكب عظيم إلى المصلى كما يعودون إلى قصورهم في هذا الموكب أخيرا.
- وصف الموكب وما يحدث فيها من أنشطة تقليدية وفنية كالغناء بأمداح الأمراء وإبراز آلات الحرب لإظهار البطولة والفروسية، وذلك لأن الموكب يعبر عن المظاهر الحربية التي تفتخر بها هذه الأمة من القدم.
- تجديد البيعة للأمراء من قبل الشعب والوزراء التي تتمثل في رفع أيدي الاحترام والتقدير كلما مر على طائفة من الناس في موكبه.
- خطاب الأمراء إلى الشعب يلقيها أمام قصره حفاوة العيد حيث أشار إلى أربعة أمور تركز عليها كلمة الأمراء وهي: التهنئة بمناسبة العيد، تقدير الأمراء بجهود الشعب في التقدم والعمران، حثهم وتشجيعهم على طلب العلم والمعرفة لتثقيف الشعب، وإفشاء السلام والأمن توجيه الشعب على أهمية رعاية الصحة بزيارة الأطباء في المستشفيات الحديثة وذلك لكراهة الشعب تلك المستشفيات آن ذاك. كما أشار إلى ختام النشاط بتقديم الدعاء الختامي من أئمة الجوامع.
- كما تحدث أن الألعاب العرفية التي تقام في أمسيات أيام العيد وغالبا أمام قصور الأمراء مثل الملاكمة والرقصات التقليدية والألعاب بالنار عند أبناء الحدادين.

ثم واصل الكاتب في العدد الثاني حديثه عن الاحتفالات في الأعياد الإسلامية، حيث استمر يصف العيد الثالث من الأعياد الإسلامية، وهو عيد المولد النبوي الشريف، ملتزما منهجه في تناول الموضوع من زاويتين الدينية والاجتماعية، كل على حسب الأنشطة التي تعقد في المنطقة.

ثانيا: الأعياد السياسية:

ثم انتقل الكاتب إلى الأعياد السياسية التي تعتز بها الدولة حيث ركّز على عيد الاستقلال.

والمعروف إن بريطانيا احتلت نيجيريا واستعمرتها عدة سنوات، ثم حصلت الدولة على الاستقلال في اليوم الأول من شهر أكتوبر عام (١٩٦٠م)، لذا تقيم نيجيريا حفلة في مثل هذا اليوم من كل عام عبر السنوات كعيد الاستقلال.

أخذ الكاتب يناقش الأنشطة التي تقوم الدولة بها في مثل هذه الأعياد، حيث نظر إليها من منطقتين: الجنوب – منطقة لاجوس، وهي عاصمة الدولة آنذاك، ومنطقة الشمال.

أما في لاجوس، فقد تناول فيها كلمة رئيس الجمهورية التي يلقيها للمواطنين في هذه المناسبة حفاوة للعيد مباشرة عبر الإذاعة المركزية وتدور حول النقاط التالية:

(١) تهنئة الشعب بمناسبة عيد الاستقلال لوطنهم في مثل هذا اليوم التاريخي.
(٢) وضع أيديهم على مظاهر الرقي والتطور كالإنجازات التي حصلت عليها الحكومة الفدرالية بعد الاستقلال.
(٣) تشجيعهم للعمل على التقدم والتطور في الأعوام اللاحقة.
(٤) إرشادهم إلى الأعمال العمرانية للعام القادم، وذلك ليحيطوا علما بها، وربما يدعون الله تعالى على تحقيقها، وإلمامًا بسياسة البلد.
(٥) تنبيههم على المواظبة في العلم والتعلم وبالتالي يوصيهم بإرسال أبنائهم إلى المدارس لما في ذلك من إخراجهم من الظلمات إلى النور، ولأنه العامل الأول في التقدم والتطور.
(٦) كما يوصيهم بالصدق والأمانة والحفاظ على ممتلكات الدولة ويوصيهم أيضا بامتثال الأوامر واجتناب النواهي والمحظورات، لأنه من أكبر العوامل في التقدم والتطور.

ثم ذكر أن رئيس الجمهورية عادة يخرج إلى فناء كبير أعد لمثل هذه الحفلة حيث سماه الكاتب باسم (حلبة السباق) لما يقع فيه من سباق الخيل التي تعقد من حين لآخر في لاجوس يستقبله ضباط الشرطة والقوات المسلحة في صفوف يهنئونه بتحيات عسكرية تعبيرًا عن القوة العسكرية التي يمتلكها البلد، كما قد يشارك فيها بعض الطلبة في المدارس والمعاهد العلمية، ثم يشير إلى ما يلقيه رئيس الجمهورية من الكلمات لهذا الجمع بمناسبة الاستقلال.

أما المنطقة الثانية وهي شمال نيجيريا فينوب عن رئيس الجمهورية فيها سيد أحمد بللو سرْدَوْنَ صكتو، ويلقي الخطاب بدلا منه، وبالنسبة للحكومات المركزية والمحلية، فقد ذكر الكاتب أن سكرتير كل حكومة أو ضابط الشرطة في البلدة [DPO] هو الذي ينوب عن رئيس الجمهورية ويلقي الكلمة باسمه.

ثم اختتم الحديث ببعض البيانات في الأنشطة الموجودة في القطر. فقد أكد أن السياسيين ينفقون أموالا طائلة في هذه المناسبة.

وبذلك قفل باب الكلام عن الأعياد السياسية، ويرى الباحث أنه ليس هناك عيدا سياسيا بعد هذا، لذا لم يتطرق الكاتب إلى عيد آخر.

ثالثا: الأعياد العرفية / الحرفية:

اختتم الكاتب معالجة هذا الموضوع بوصف الأعياد الحرفية التقليدية. فقد ألقى بعض الأضواء على بعض المواسم الاحتفالية التي يقيمها أصحاب الحرف مثل:

(١) النحات: الذين ينحتون الآت المنزلية، كمقاعد أهلية،والمحراث وآلات الطحن Turmi وغير ذلك من أثاث المنزل للنساء، فأصحاب هذه الصناعة يعقدون أنشطة في مواسمهم.

(٢) الحدادون: فقد يخصصون أياما لألعابهم بالنيران والحديد.

(٣) النجارون: الذين يصنعون سقف البيوتات والأبواب والنوافذ وغير ذلك.

(٤) الدباغون: الذين يسلخون الجلود كي تكون صالحة لصناعة الأحذية والحقائب وغير ذلك.

(٥) الصباغون: وهم الذين يصبغون الثياب واللباس بألوان مختلفة تعلموا من أجدادهم.

فكل من أصحاب هذه الصناعات يخصصون بعض أيام لعيد، ربما يجتمعون في يوم عيد لم يحدده الكاتب، ولم يذكر نشاطات هذا العبد إلا عند الحدادين، حيث ذكر إنهم يبدون الأعاجيب باللعب بالنار إذ يرى واحد منهم يتكهن أنه يظهر بعض المظاهر غير الطبيعية بالنار، كإدخال اليد فيها أو يرقص فيها، أو يتظاهر أنه يأخذ بلهيب من النار، أو قد يسحر أنه يأكلها، كل ذلك بدون أن يجد ألم يحرقه. فهذا لا يخلو في نظر الباحث عن السحر عند أصحاب تلك الصناعة.

وأخيرًا أنهى مقالته بما لاحظت الحكومة من ذوبان العادات والتقاليد عند أصحاب الصناعات، فهم رجال الدولة أن هذه المشكلة قد تؤدي إلى التكلف وعدم التقدم، فحاولوا أن يأتوا بحل هذه المشكلة، حيث قرروا أن يعقدوا معرضا صناعيًا، وأشار الكاتب أن الحكومة تضع جوائز للمتفوقين في كل صناعة.

لا شك أن هذا كما أشار الكاتب يؤدي إلى التقدم والرقي وإحياء التراث والتقاليد عند أصحاب كل صناعة، ينظمون هذه الحفلات سنويًا لهذا الغرض.

وقد أكد الكاتب أنهم حققوا أهدافهم وأغراضهم وذلك بإبراز مصنوعاتنا، وتحبيبها إلى الآخرين من غيرنا، حتى وصل الأمر إلى حد أن كثيرا من الأقطار والبلاد العالمية تشتاق إلى صناعاتنا، مما جعل نيجيريا الشمالية تفتخر على غيرها، وبذلك استطاعوا أن يحافظوا على تقاليدهم الموروثة الجميلة، مما أعطاهم فرصة ليساهموا بل يهاجموا الثقافات الغربية وتقاليدها الزائفة والمدمرة، التي حكم الأديب عليها بأنها (فاسدة ومفسدة)، وحكم عليها كذلك أنهم يقومون بأسفار ثقافية، ويتمثل ذلك في عباراته التي لا تخلوا من الغموض إلا أن الباحث فهمها كالآتي قوله: «فأخذوا قطرات جميلة من بحورها الممتزج ماؤها بين الجميل». يوحي هذا الكلام أنهم أخذوا طرفًا من الثقافات الأجنبية التي يثقون بجمالها فيمزجونها من عاداتها الحسنة فتخرج في صورة جديدة تتماشى مع طبائعهم، ثم إن العادات مهما كانت بصرف النظر عن أصحابها فمنها ما هو جيد ومنها ما هو رديء.

ثم اختتم بصيغة الدعاء لأهل نيجيريا الشمالية، بقوله «إلى الأمام يا أهل شمال» أي أدعو لكم أن تسيروا إلى الأمام.

التقويم الفني للمقالة:

يلاحظ في أسلوب الكاتب ما يأتي:

(١) الموضوع: لقد ساق الكاتب هذه المعاني في أسلوب سهل قريب إلى الفهم طالب النقاد بمثل هذا في كتابة المقالة، ذلك لأنها مقدم إلى العامة.

(٢) عدم تكرار المعاني والألفاظ: هذا يعني أنه لا يكثر من استعمال المفردات ذات معاني واحدة في موضوع واحد، ولا يكثر من تكرار المعنى. أو النقط بلا داع.

(٣) الإطناب: هو مطنب في الكلام لكنه لا يسقط من قيمة عمله، إذ لم يكن خارجا من حدود المطلوب للقالب المقالي، بل الموضوع يتطلب مثل هذا الأسلوب استيعابًا للأفكار.

ومهما يكن من أمر فإننا نشيد بالكاتب في هذه المحاولة.

الصور البيانية:

لقد لجأ الكاتب إلى بعض الصور البيانية بالأخص التشبيهات ليعبر عن أفكاره المختلفة في مناسبات عدة، مما يدل على إلمامه بالظواهر البلاغية، يحاول الباحث أن يستعين بالمصطلحات البلاغية ليلتقط هذه الظواهر من فقرات المقالة، ثم يحلل بعضها في حين يكتفي بالإشارة إلى البعض كالآتي:

أ/ ظاهرة التشبيه:

لقد وردت تشبيهات عديدة: منها قوله:

(١) لقد شبه الأمة التي خلت من الأعياد، بأعجاز نخل خاوية في قوله «لو عاش شعب بدونها لكان أبناؤه كأعجاز نخل خاوية». وهو مقتبسة سورة الحاقة فشبه الأمة بهذه الأعجاز الخاوية التي لا نفع ولا حياة فيها. فالأمة: مشبه، والنخل الخاوية: مشبه به، وكأن: أداة التشبيه، ثم عدم الحياة والمنفعة: وجه الشبه. فكأنه يرى أن الأمة بدون إقامة مناسبة الأعياد ميتة لا روح ولا حياة فيها. وقوله: «فكان الإنسان حينما يؤدي ما عليه من خدمة المجتمع فهو يدرس الحوادث يوميا، ولا يمكن أن يستمر هكذا بدون توقف ولا اشتراك في لعب ذهنيًا كان أو بدنيا».

(٢) إنه شبه ما تجده الأمة في الأعياد من تنشيط الأجسام والأرواح، يحتاج إليهما كل متعلم وأن الحياة مدرسة يتعلم فيها الفرد من يوم ولادته إلى وفاته ما تصلح به حياته كإنسان في بيئته، فعقد مشابهة بين حياة المرء وبين حياة التلميذ الذي يحتاج إلى أوقات الفراغ للراحة والنشاط كي لا يسأم ويمل من الدراسة وبالتالي يكرهها، فكذلك أوقات الأعياد في حياة الأمة. فهذا التشبيه ناتج - فيما يرى الباحث - من ثقافته التربوية استعملها ليكشف عن أهمية الأعياد في الحياة، فاستعمل أداة التشبيه في قوله: «فكأن الإنسان».

(٣) شبه سير الأمير مع حاشيته في الموكب من حيث الهدوء والبطء، ومن حيث التلون بسير الحرباء التي يزحف بين الأشجار وتتلون بألوان عدة. وهاهو يقول: "وهم في بطءوهدوء كالحرباء ١١ وهي تتنزه بين الأشجار" ويضرب بالحرباء مثل بالتقلب والألوان.١٢

(٤) تشبيه تحريك الرياح لأعلام مختلفة الألوان والأشكال بتحريك الطير جناحه. ويقول: "وميدان واسع خال في وسطهم وقد حدد بعمود حديدية منصوبة عليها أعلام مختلفة الألوان والأشكال يحركها الريح كما يحرك الطير جناحه"

ومما يتعلق بالمضمون ما يأتي:

أ/ تجربته النثرية:

لا يخفى على القارئ أن الكاتب ذا تجربة شعورية قوية أخرجها في قالب نثري، إذ استطاع أن يناقش الموضوع الذي شعر به شعورا صادقا وذلك بصبغة أدبية ذات جمال فني، ملاحظا فيها حالة القراء ومستواهم الثقافي، فلم يكن كلامه مقيدًا ببعض التعقيدات النثرية المتكلفة، التي تحول دون إيصال رسالته إلى قرائه.

فقد صور ظاهرة الأعياد في بلاده بشيء من التفصيل بعيدًا عن العنصرية القبلية، ثم إن عمله هذا يدل بكل تأكيد على أنه قوي في رسم الأحداث والمشاهد في قالب نثري وخاصة المقالة التي تحتاج إلى تقريب المعاني للقراء.

ب/ الأفكار:

لا مراء في أن الكاتب دقق في تنسيق الأفكار،إذ ساقها في تسلسل منطقي، فكرة تلو أخرى، لا تكاد تراه يتلون في إيراد الأفكار، بدأ بعيدي الفطر والأضحى في العدد الأول، ثم واصل في العدد الثاني بعيد المولد النبوي استمرارا عن الأعياد الإسلامية، ثم تناول العيد المسيحي ثم السياسي، ثم العرفي، كل يناقشه مناقشة أدبية جيدة في تسلسل إذ لا ينتقل من فكرة إلى أخرى حتى يكمل الحديث عنها. ولا شك أن هذا يدل على ما يمتلكه الكاتب من

المهارة في الكتابة.

ج/ العاطفة:

تتجلى عاطفة الكاتب الصوفية، أنه قادري النـزعة، إذ كلما تحدث عن النشاط الديني في إحياء ليالي العيد يضرب مثالا بالطرق الصوفية، ولا يذكر إلا أصحاب الطريقة القادرية كقوله: «وأعتقد أن الأصوات ترتفع أكثر في ساحات أصحاب الطرق كالقادرية» نلمس من ذلك أنه ميّال إلى القادرية.

هـ/ الجمال الأدبي:

لقد استعمل الكاتب بعض الصور الأدبية وعلى سبيل المثال: التشخيص، عندما شخّص هذه الأمة في شخْص رجل واحد وجعل لها قلبا تتغذى من النفس أو الروح، التي بطبيعتها تحتاج إلى الراحة النفسية لما لذلك من أثر على الجسم، فالأعياد هي تلك الفرصة التي ترتاح فيها النفوس في كل أمة في العالم.

فهذه الصورة التشخيصية من أهم الصور الأدبية التي اهتم بها كثير من النقاد والمحدثين في الجمال الأدبي.

الخاتمة:

تناولت الورقة نبذة عن حياة أبي بكر بلاربي (صاحب المقال) و تعريفات عدة لفن المقالة حيث اكتفت بتعريفين منها لشمولهما كما مسحت خلفية عن فن المقالة في الأدب العربي عامة والأدب العربي النيجري خاصة ثم اختارت مقالة أعيادنا نموذجا محللة أفكارها وأشكالها وأخيرا أسفرت النتائج الآتية:

١- أن أدباء هذا القطر استوظفوا فن المقالة في تعبيراتهم الفنية.
٢- أن أبابكر بلاربي من رواد الأوائل لهذا الفن الأدبي النيجيري
٣- أن أعيادنا تمتاز بقيمة فنية وعلمية.
٤- أن فن المقالة من الفنون الأدبية مبكرة في الأدب العربي النيجيري إذ تعود بدايته إلى أوسط القرن الماضي.
٥- ثم إن كاتب مقالة "أعيادنا" استوظف ثقافته الدينية في تشكيل بعض الصور الأدبية.
٦- إن الكاتب استعمل بلاغة الإطناب في أسلوبه.
٧- إنه استعمل بأسلوب سهل كما تدعو إليه طبيعة الموضوع، والفن لعلاته بالصفاحة والمجلة.
٨- إنه دقيق في نسق أفكاره.

الهوامش والمراجع

١ ترجمة لسيرة ذاتية المكتوبة بالإنجليزية، بعد مقالبة معه في قيد حياته. يوم السبت عام ٢٠٠٨م فبيرير.

٢ إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية القاهرة، ط٥؛ مصر:مكتبة الشروق الدولية.٢٠١٠م ج٢، ٧٩١

٣ سوسن رجب (الدكتورة)، النثر الأدبي، نشر: http/www/wngelfire.com/net/prosp.html ص: ٢٦.

٤ المرجع السابق نفسه، ص: ٢٧.

٥ عبد الرزاق حسين، (د) فن الثر المتجدد، دار العالم الثقافة، القاهرة ط١، بدون تاريخ ص ٤٨-٤٩.

٦ أحمد هيكل (الدكتور)، تطور الأدب الحديث في مصر، ص:٧٦

٧ المرجع السابق ٧١.

٨ ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت، لبنان، مج/٣، سنة (١٩٥٥م)، ص: ٣١٩.

٩ المرجع نفسه، ص ٣٢٠.

١٠ أبوبكر بلاربي، (أ.د) دراسات كنو، تصدر عن قسم التاريخ بكلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كنو، العدد الأول عام ١٩٦٥م.

١١ الحرباء: هو حالة، وتستقبل الشمس وتدور معها كيف ما دارت وتتلون ألوانا والجمع الحربّى" الفيومي، مصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة سنة ١٩٠٦م ص ١٥٤.

١٢ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص ١١٤.